

دار العلوم

معقل اللغة العربية في القاهرة

امروزناز لامل السرافيري

دبلوم دار العلوم وخريج معهد التربية العالي

تحت هذا العنوان نشرت صحيفة بيروت المسائية من صحف لبنان في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ / ٩ / ١٩٤٧ مقالا للأديب اللبناني الأستاذ محمد قره علي، عن دار العلوم في القاهرة تحدث فيه لطائفة من خريجيها إبان وجودهم في لبنان لحضور المؤتمر الثقافي العربي الأول المنعقد في «بيت مري» في الأسبوع الأول من سبتمبر سنة ١٩٤٧ ويظهر من المقال أن كاتبه قد سرت في نفسه هزة الاعجاب بدار العلوم عندما رأى وفرة خريجيها الوافدين على لبنان، وتعدد المعاهد والجماعات والهيئات التي يمثلونها حيث كان من بينهم مندوبون عن جامعتي فؤاد وفاروق، ووزارة المعارف، وجماعة دار العلوم وجمع فؤاد الأول، كما كان من بينهم أيضا ممثلو بعض الأقطار العربية كفلسطين، فتوجه بأسئلة أجابه عنها بعض الخريجين، وقد تناولت تاريخ إنشاء الدار ورسالتها والخدمات التي أسدتها للغة العربية والنهضة الأدبية منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى اليوم.

ولم أكد أطلع على المقال حتى شعرت بموجة من الاعجاب تغمرني، وتشعل في نفس جذوة الاعتزاز بالدار التي تخرجت فيها، وقضيت بين رياضها الفصح، وفصولها العامرة، ومكتباتها المنظمة، فترة من حياتي حافلة بكل معاني اللذة والسرور. لذة النظام، للعلم المتعطش للأدب الذي وجد المنهل العذب، والمورد السائغ يرتشف من رحيقه، وينهل من سلسيله.

وعادت بي الذكريات إلى أيام الدراسة وأنا أتلقى العلوم مع نخبة من أبناء الأقطار العربية الإسلامية كانوا يمثلون الجامعة العربية، والوحدة الإسلامية أصدق تمثيل.

وكانت إدارة الدار، والقائمون على شئونها يرعون أبناء العروبة، ويعرفون لهم حقهم، و يقيمون لهم الحفلات يظهر فيها شعورهم الطيب، وعواطفهم السامية نحو أولئك الضيوف، الذين وجدوا في مصر وفي أبنائها إخواناً أعزاء، وأشقاء كرماء.

ولم نكن نتلقى في دار العلوم علوم اللغة العربية من نحو وصرف واشتقاق وأدب ونقد وبلاغة، أو علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث وأصول، أو العلوم الإلهية من منطق وفلسفة، بل كنا نتلقى في الدار أيضاً اللغات الأجنبية واللغات السامية.

ولا أعدو الحقيقة إذا اعترفت بأن دار العلوم تعد أبناءها لخوض غمار الحياة بعد أن تزودهم بجميع الأسلحة التي تمكنهم من اجتياز العقبات والتغلب على الصعاب بما تبثه في نفوسهم من تكوين الذاتية والاعتماد على النفس والرغبة في الابتكار والتجديد، وتحرير العقلية من الجمود.

ويجدر بي أن أنوه بما يبديه أساتذة دار العلوم نحو الطلبة، من عطف أبوى وسمو خلقى، إلى جانب ما يمتازون به من غزير المادة والرغبة في البحث والتفاني في خدمة العلم والاخلاص للدار، والنهوض بها وإعلاء شأنها حتى تصل إلى الذروة وأرى يباين عاجزاً عن الإشادة بفضل جهابذة وقفوا حياتهم على خدمة اللغة العربية والدين، وتخرج على أيديهم كبار الشعراء والكتاب الذين يطربون أبناء الضاد بما ينشدونه من أشعار، وما تنتجه قرائحهم من أدب رفيع، وحكم عالية.

ودار العلوم - ولا غر - تؤدي رسالتها اليوم كما أدتها بالأمس على أكمل وجه، وتقدم للامم العربية والشعوب الإسلامية كل عام فوجاً من أبنائها يلتقون الناشئة علوم اللغة القومية، ومبادئ الدين الحنيف، ويبحثون في

نفوس الاطفال روح القومية العربية .

ولم تقف رسالة دار العلوم - كما يظن البعض - عند تخريج معلم اللغة القومية الصالح السكف، بل تجاوزت ذلك إلى إذكاء روح النهضة الأدبية في العالم العربي وتوجيه التيار الأدبي الوجهة القومية التي تعيد للأمة مجدها، وتعددها للسير مع قافلة الحضارة الانسانية في العالم .

وخريج دار العلوم - وبعد خمسة وستين عاما من إنشائها - منشون في دنيا العرب والاسلام، في مصر وسوريا والعراق ولبنان وفلسطين والهند وأندونيسيا وفارس وجزيرة العرب، يغرسون في رجال الغد بذور القومية العربية، ويقفونهم على مدى حضارة العرب ومجدهم بما يشرحونه لهم في الأدب العربي والتاريخ الاسلامي .

وهم الذادة المدافعين عن لغة يعرب وعدنان، يسجلون من آيات بلاغها وفصاحتها روائع يهزون بها أوتار القلوب، ويستحذون على النفوس . بل إنهم يبنلون اليوم الجهود المشكورة لتقريب اللغة الفصحى من الأذهان بما يتفق مع روح العصر وأسس التربية الحديثة .

وتتعاقب الأيام، وتمر الأعوام وتبرهن دار العلوم على عظمتها الخالدة التي تزدهر على كر السنين، وعلى أنها مفخرة من مفاخر الشرق العربي، ومنازة أضاءت الطريق أمام الذين يرغبون في الوقوف على أسرار لغة القرآن، وحديث الرسول الكريم، صلوات الله وسلامه عليه .

ولعل هذه الشهرة الذائعة التي سارت في الآفاق، وجعلت أبناء دار العلوم مرموقين بنظرات التقدير والاعجاب، لما هم عليه من كفاءة ومثانة تحفز القائمة على شئون التربية والتعليم في الاقطار العربية والاسلامية إلى تقدير أبناء الدار، ووضعهم في المناصب اللائقة والدرجات المناسبة وخصوصا بعد توصية المؤتمر الثقافي بإنشاء معهد في كل بلد عربي لتخريج المعلم القومي على غرار دار العلوم في القاهرة، اعترافا بالأيدى البيض التي أدتها اللغة وللنهضة الادبية في دنيا العروبة والاسلام . وإلى القراء المقال المنوه عنه آنفا .